|  |
| --- |
| **السنة الثانية ماستر / أ. سامية إدريس**  **أدب عربي حديث ومعاصر المناهج النقدية الغربية** |

|  |
| --- |
| **حول مفهوم المنهج والمنهج النقدي** |

1. **مفهوم المنهج:**

المنهج **لغة** هو الطريق الواضح البيّن، ورد في لسان العرب: " طريقٌ نَهْجٌ : بَيِّنٌ واضِحٌ ، وهو النَّهْجُ (...) ومَنْهَجُ الطريقِ : وضَحُه. والمِنهاجُ : كالمَنْهَجِ . وفي التنزيل : لكلٍّ جعلنا منكم شِرْعةً ومِنْهاجاً . وأَنهَجَ الطريقُ : وضَحَ واسْتَبانَ وصار نَهْجاً واضِحاً بَيِّناً"

أما تعريفه **اصطلاحا** فقد ارتبط بأحد التيارين:

- ارتباطه بالمنطق، حيث كان يدل على الوسائل والإجراءات العقلية طبقا للحدود المنطقية التي تؤدي إلى نتائج معينة، ولذلك فإن كلمة منهج انطلقت من اليونانية واستمرت في الثقافة الإسلامية لتصل إلى عصر النهضة، وهي لا تزال محتفظة بالتصورات الصورية طبقا للمنطق الأرسطي بحدوده وطرق استنباطه.

-ارتباطه في عصر النهضة بحركة التيار العلمي، فقد أخذ المنهج العقلاني المنطقي يتخذ مسلكا مغايرا خاصة مع ديكارت في كتابه "مقال في المنهج"، متأثرا بالتيار العلمي الذي يحتكم إلى الواقع ومعطياته ولا يكتفي بالعقل وحده.

لقد اختلف العلماء في تحديد العلاقة بين المنهج والمنطق، فمنهم من يفرق بينهما، وهناك من يعتبرهما شيئا واحدا، والواقع أن هذه التفرقة لم تظهر إلا منذ عصر النهضة حيث تزعزعت مكانة المنطق الأرسطي الذي ظل مسيطرا طيلة القرون الماضية، وتعرض للنقد على أيدي العلماء الذين اعتبروه عاجزا عن تلبية الحاجات العلمية لعصرهم.

وكانت أول محاولة في هذا المجال في القرن 16م عندما قام راموس (1515-1572) بمحاولة تقسيم المنطق إلى أربعة أقسام هي التصور والحكم والبرهان والمنهج، وكان راموس أقرب إلى الأدب منه إلى العلم، فعني عناية خاصة بالمنهج في الأدب والبلاغة ولم يتوصل إلى تحديد منهج دقيق للعلوم ولم يهتم اهتماما كافيا بالملاحظة والتجربة، وجاءت الخطوة الحاسمة مع فرانسيس بيكون (1561-1626) في القرن 17م في كتابه الشهير "الأورغانون الجديد"، وفيه وضع بيكون قواعد المنهج التجريبي الجديد الذي يقوم على الاستقراء عكس منهج أرسطو الذي يقوم على القياس. ومع بيكون ظهر جاليليو (1564-1642) الذي كان له أثر كبير في نزع الثقة عن منطق أرسطو وتوضيح فكرة المنهج الجديد، وقد فطن جاليليو إلى وظيفة الرياضيات في العلم الطبيعي، وكان اعتماده عليها سببا في تقدم العلوم التجريبية، ويعتبر العلماء أول من استخدم الملاحظة والتجربة في التحقق من صدق الفروض الرياضية.

وظهر ديكارت (1596-1650) الذي انشغل بالبحث عن منهج يصلح لكل العلوم مهما اختلفت موضوعاتها، انطلاقا من اقتناعه بوحدة العقل الإنساني، وانتهى إلى أن المنهج الرياضي هو أكثر المناهج ثباتا وأشدها يقينا، وأنه لو طبق على العلوم الأخرى لبلغت درجة العلوم الرياضية من حيث استقرار النتائج وثباتها، فدعا إلى الأخذ به. وأساس الفلسفة الديكارتية هو الشك المنهجي.

أما في العصر الحديث فقد تعددت الشروط والمواصفات التي تحدد طبيعة المنهج العلمي، وسنقتصر في حديثنا هنا عن المنهج النقدي.

1. **المنهج النقدي**: للمنهج النقدي مفهومان: عام وخاص.

أما العام فيرتبط بطبيعة الفكر النقدي ذاته في العلوم الإنسانية بأكملها، هذه الطبيعة الفكرية النقدية أسسها ديكارت على أساس أنها لا تقبل أي مسلمات عرضها على العقل، ومبدأه في ذلك الشك للوصول إلى اليقين، ولهذا الفكر النقدي سمة أساسية وهي أنه لا يقبل القضايا على علاتها، بل يختبرها، ويدلل عليها بالوسائل التي تؤدي إلى التأكد من سلامتها أو صحتها، وذلك قبل أن يتخذ هذه القضايا أساسا لبناء النتائج التي يريد الوصول إليها.

أما الخاص، فهو الذي يتعلق بالدراسة الأدبية والنظر في مظاهر الإبداع بأشكالها وتحليلها. إذ يراد بالمنهج النقدي في مجال الأدب تلك الطريقة التي يسلكها الناقد في قراءة العمل الأدبي والفني قصدا استكناه دلالته وبنياته الجمالية و الشكلية.

1. **مستلزمات المنهج:**

لا بد لأي منهج نقدي أن يتعلق بنظرية أدبية تحدد رؤيته للأدب، والأساس الذي يتعامل وفقه مع الظاهرة الأدبية، ونظرية الأدب كما نعلم تحاول الإجابة عن التساؤلات حول ماهية الأدب، ووظيفته، حيث تتساءل عن طبيعة الأعمال الأدبية وعناصرها وأجناسها، وقوانينها، وعن علاقة الأدب بالمجتمع والحياة والمبدع والمتلقي الخ..

لذلك فالمفهوم المعرفي المؤسس للأدب هو النظرية، والمنهج النقدي هو الذي يختبر توافق هذه النظرية مع مبادئها، ويمارس فاعليته، ويتم تداوله عبر جهاز اصطلاحي يحمل قنوات تصوراته ويضمن كيفية انطباقها قربا أو بعدا مع الواقع الإبداعي.

يتعلق كل منهج نقدي، إذن، بنظرية أدبية، ويؤسس لمنظومة اصطلاحية خاصة به، هي تمثل الأدوات المنهجية التي يطبق بها المنهج، وهي خاضعة للتغيير من منهج إلى آخر، وتلعب المصطلحات الخاصة بكل مجال دورا أساسيا في التمييز بين اختصاصات المناهج.

كان تاريخ الأدب من أول الدراسات الأدبية التي اتخذت منهجا للبحث، على غرار المنهج الذي أرساه لانسون سنة 1901م في كتابه الهام "منهج البحث في تاريخ الأدب" والذي يعتبر دراسة الأدب حالة خاصة فهو يقترب من التاريخ أحيانا ويبتعد عنه أحيانا أخرى من حيث الأدوات الإجرائية لأن الأدب لا يدرك معناه إلا بالتحليل الفني لصياغته المعقدة التي تشترك في تكوينها مجموعة من العناصر؛ لغة، صور، خيال، ذاتية الأديب...الخ.

أما في التراث العربي فلم تخلو المؤلفات القديمة من صفات المنهج، ويلاحظ ذلك جليا في كتب "طبقات فحول الشعراء" لابن سلام الجمحي، و"الشعر والشعراء "لابن قتيبة وغيرها، فبحوث هؤلاء مبوبة ضمن محاور ومباحث تتسم بالدقة والتنظيم وإن كانت لا ترقى إلى المناهج الحديثة.

1. **مدخل إلى النقد الأدبي:**

لم يظهر النقد الأدبي كتخصص قائم بذاته إلا في القرن 19م، لكن وجدت ممارسة نقدية ووجد نقاد قبل ذلك، وقد ظهر في العصر الحديث ما يسمى بالنقد العلمي الذي يهدف إلى التخلص من الانطباعية والذاتية عن طريق ربط النقد الأدبي بالنظريات العلمية، فظهرت منظومة من المناهج النقدية السياقية التي تستند على العلوم الإنسانية والاجتماعية، على غرار النقد التاريخي، النقد النفسي، النقد الاجتماعي، ليحدث بعد ذلك تحول واضح في الفكر النقدي في النصف الأول من القرن العشرين جعله يرتبط بعلوم الغة بما أن الأدب لغة أولا قبل أن يكون شيئا آخر، فظهرت منظومة من المناهج النصية، مثل البنيوية والأسلوبية والسيميائية ، لكن شهد أواخر الستينات وبداية السبعينات تطورا جديدا للنقد الذي راح ينفتح تدريجيا نحو القطب الثالث في الملية الإبداعية وهو القارئ، كما نشهد عودة لما يسمى بالمناهج السياقية في صيغة جديدة، تستوعب مكتسبات النقد النصي، مثل السوسيونقد والبسيكونقد والنقد الثقافي الذي يستوعب كل مكاسب التخصصات المعرفية المختلفة، وينتقل من مساءلة النصوص الدبية وإنتاج معرفة عنها إلى مساءلة الواقع والثقافة عن طريق الصورة التي يقدمها الدب/ فينتج بالتالي معرفة عن النص الأدبي وعن الواقع الذي أنتج النص الأدبي.

**أهم مرجع معتمد:**

صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر.

لسان العرب.